



هي ذي تنهدم المدن، قد تنكسر رؤوس الساكنين تحت الإسمنت، أو قلوبهم في شرود الشوارع، وقد تذهل مرضعة عمًا أرضعت، ولكن لا تنذهل النار عن البيوت، ولا أنت عن الخندق.

ها أنت لم يبق سواك، تدرك معنى البسمة في الوجوه، والدمع على الأرصفة، والدفء الحميم لانغراس القدم في الطين، تراقب انهيار النار على الأرض، ويزورك في الليل الشك، يسائك الصمت عن الجدوى، ولكنك تبقى كما أنت.. مقاتل.

وسد الآن رأسك، فوق ذراع أخيك المسجى، هذي الأرض لك، والسماء سماؤك، وصوت رياح الليل يناجيك، والمدى – بالعتمة والضباب – أوضح من نهارات المدن، وتصلي بالطلقة والزند ما لا يعرفه الأئمة الآمنون، تتحرك خلف الذكرى أسماء الإخوان، وتحسّ جفاف حُببيات تراب القبر، كم تركوك بين وهاد الأرض وراحوا، ها أنت وحدك في الحرب، إلا من ميت يغسله الدم، أو ميت عمًا قليل، ولكنك حيّ.

ما أحلى هذا الطين، وما أبهاك في خشوع الخراب الكبير، أحببناك قريباً، وأكثر حين تركناك، ولم تتوقف عنّا حباً وعتباً وحرماً، يا ابن المدن المغبرة، والشوارع العطشى لخطوات الشباب، وسوالف الشيبان النازحين منذ انكسار العين، يا لهفة البيوت للأهلين، ورفيق الحجارة المنتثرة، وأنيس المتبقي من ظلال.

أنبيك بسرّ تدركه، وحدتك الليلة ثمّة.. ليست تلك الغربية، حياة الهانئين غربتك الكبرى، مراجعة الهجرة وتلمس ثغرات

الحدود، مصافحة أيدي الشباب الملساء، الندمُ على ما وجبَ ولم يكن، أن تفقد خيار الموت فتفقدَ الحياةَ لونها ومعناها، وألا تتذكر طريق قبور الراحلين بعدما رحلت عنهم، وتزورك في أحلام الليل الأرض، احذر أن تصبح الأرض حلمًا، سيكون العمر هباءً.

ها أنت في العاصفة حيث تتوه العقول، فاعتمد القلب، لا تنتظرُ أحداً، ولا تصدق الدول والقادة باللباس النظيف، قد يقنعك اليأس، ولكنك أمل الخيام والذاكرة، يا ابن الصرخة الأولى، يا حارس هذا الزمان المكان الأخير.

المصادر:

قناة الكاتب على تلغرام